

سلطانات الرمل

عبد الحسين شعبان

بيروت



لم أقن قد تعرّفت على البادية السورية قبل تعرفي على الرواية السورية لبنا هويّان الحسن، وبالتحديد بعد قراءة روايتها المدهشة "سلطانات الرمل" التي دوت فيها "سيرة" أشهر فائحات بادية الشام بين وحين قرأت 1950 و1880 الرواية شعرت أن الحسن، لا تمتلك خيالاً خصياً فحسب، بل ولغة أنيقة وجملة رشيقة ورؤية مثيرة، مثلما اكتشفت الكم الهائل من المعلومات الغنيّة عن البادية والتفاصيل الوفيرة عن العشائر، باستعادة دور العشيرة، ليس بصفتها ماضياً فحسب، بل باعتبارها حاضراً. وإذا كان وجود قانون للعشائر في العراق يعود لسفرة الامتثال البريطاني 1914-1918 فإن قانون العشائر السوري حديث نسبياً، ولكن إلغاء القانونين جاء متساوياً مع أحداث "ثورية" حصلت في البلدين، أولها قيام الوحدة المصرية-السورية، وثانيها- قيام ثورة بوليس تموز في العراق 14 وكلاهما حصل -لا في العام 1958 وقد نشرت الرواية لبنا الحسن نص قرار إلغاء قانون العشائر بتوقيع الرئيس جمال عبد الناصر، السنّي صدر في 28

سبتمبر/أيلول وجاء فيه: يلغى قانون العشائر الصادر بقرار رئيس مجلس النواب السـوري رقم 31 بتاريخ 13/6/1956 ويخضع أفراد العشائر إلى كافة القوانين والقرارات والمواطنين الحضريين في الإقليم السوري.

دور العشيرة

وعلى الرغم من مضي أكثر من عقود على إلغاء قانوني 6 العشائر في العراق وسوريا وتراجع دور العشيرة فعلياً بحكم توجهات الدولة المدنية في البلدين، فإن العودة إلى العشائرية أخذت يتسلسل مجدداً بالتوافق مع تراجع هيبة الدولة وعدم قدرتها على بسط نفوذها وسلطانها على كامل البلاد. لقد عملت بريطانيا على كسب بعض رؤساء العشائر لصالح أهدافها الإستعمارية، ومقابل ذلك أعدت عليهم أولها قيام الوحدة المصرية-السورية، وثانيها- قيام ثورة بوليس تموز في العراق 14 ورُعت عليهم الأراضي ومنحتهم امتيازات وصلاحيات موازية للقضاء والحكومة في مناطقهم وإقطاعاتهم بما فيها الفصل في النزاعات، إضافة إلى أحكام وسجون خاصة

لإخضاع أبناء عشائريهم وضمّان موالياتهم. لكن دور العشائر بدأ ينحسر بالتدريج بعد العام 1958 أقي العراق وفي سوريا بعد إلغاء قانوني العشائر وإضعاف القاعدة المادية الاقتصادية والاجتماعية لرؤساء العشائر، وتوزّع أبناء العشائري، وخصوصاً بعد الهجرة الواسعة من الريف أو البادية باتجاه المدن على الأحزاب والنقابات والجمعيات، وساهم الإصلاح الزراعي بغض النظر عن أخطائه وتأثيره السلبي على الزراعة في إضعاف دور العشيرة، وبعد غزو القوات العراقية للكويت العام 1990 وحرب قوات التحالف ضده في العام 1991شهد العراق عودة العشائرية بقرار حكومي، حيث بدأ الرئيس السابق صدام حسين باستقبالهم وتكريمهم بل إن بعض العشائر تم تصنيفها ظلماً منه انه بالإمكان حماية نظامه، وبالغ بعض هؤلاء في التوقيع له بالدم على وثيقة حفظ العهد، وقد حاول الحاكم المدني الأمريكي بول بريمر توظيف بعضهم لصالح المشروع الأمريكي مستغلاً الخلافات السياسية والطائفية من جهة وضعف مرجعية الدولة من جهة أخرى. وهكذا أصبح لبعض هؤلاء شأن كبير استغله إلى حدود بعيدة. وتنقل مجلة الإيكونوميست البريطانية الدور الجديد الذي يقوم به بعض رؤساء العشائر في الوقت الحاضر، وجاء في مقالة بعنوان: "العشائر في العراق" مع عنوان فرعي "استأجر شيخاً" ما يلي: "بعد سقوط صدام حسين عام 2003 ملا الشيوخ الفراغ

بعد نشوء دولة هشّة وفاسدة، ويقوم اليوم حتى بعض المحامين بتقديم النصيحة لزيائتهم باستخدام مجالس العشيرة بدلاً من اللجوء إلى المحاكم، خاصة بعد أن أقام الشيوخ علاقات وطيدة مع الميليشيات ذات النفوذ، وهذا ما أدى إلى ازدهار بزئس جديد، حيث يقوم الشيوخ بعضهم بعرض خدماتهم. وبالعودة إلى رواية "سلطانات الرمل" شعرت وأنا أتابع تفاصيلها المتداخلة والأسماء المتداخلة والأزمات، أن ثمة واقعاً جديداً في كل من سوريا والعراق وكأنه عودة القهقري إلى ما قبل قرن من

الزمان، خصوصاً بقطع خط التطور التدريجي والتراجع إلى مرجعيات ما دون الدولة وما قبلها، شاهيك عن استغلال بعض الإرهابيين، ولاسيماً "داعش"، لبعض تلك التشكيلات.

حضور باهت

لقد أصبحت الظاهرة العشائرية التي كان حضورها باهتاً في سوريا ملفتة للنظر، لجهة التداخل الخارجي من جهة، ومن جهة أخرى لجهة استعادة الدولة لمكانتها وهيبتها. أما في العراق الذي تتنازعه مرجعيات عديدة فقد أصبحت طاغية لدرجة أن الدولة اضطرت لإصدار

الزمان، خصوصاً بقطع خط التطور التدريجي والتراجع إلى مرجعيات ما دون الدولة وما قبلها، شاهيك عن استغلال بعض الإرهابيين، ولاسيماً "داعش"، لبعض تلك التشكيلات.

حضور باهت

لقد أصبحت الظاهرة العشائرية التي كان حضورها باهتاً في سوريا ملفتة للنظر، لجهة التداخل الخارجي من جهة، ومن جهة أخرى لجهة استعادة الدولة لمكانتها وهيبتها. أما في العراق الذي تتنازعه مرجعيات عديدة فقد أصبحت طاغية لدرجة أن الدولة اضطرت لإصدار

□ باحث ومفكر عربي

هكذا أصبح لبعض هؤلاء شأن كبير استغله إلى حدود بعيدة. وتنقل مجلة الإيكونوميست البريطانية الدور الجديد الذي يقوم به بعض رؤساء العشائر في الوقت الحاضر، وجاء في مقالة بعنوان: "العشائر في العراق" مع عنوان فرعي "استأجر شيخاً" ما يلي: "بعد سقوط صدام حسين عام 2003 ملا الشيوخ الفراغ بعد نشوء دولة هشّة وفاسدة، ويقوم اليوم حتى بعض المحامين بتقديم النصيحة لزيائتهم باستخدام مجالس العشيرة بدلاً من اللجوء إلى المحاكم، خاصة بعد أن أقام الشيوخ علاقات وطيدة مع الميليشيات ذات النفوذ، وهذا ما أدى إلى ازدهار بزئس جديد، حيث يقوم الشيوخ بعضهم بعرض خدماتهم. وبالعودة إلى رواية "سلطانات الرمل" شعرت وأنا أتابع تفاصيلها المتداخلة والأسماء المتداخلة والأزمات، أن ثمة واقعاً جديداً في كل من سوريا والعراق وكأنه عودة القهقري إلى ما قبل قرن من الزمان، خصوصاً بقطع خط التطور التدريجي والتراجع إلى مرجعيات ما دون الدولة وما قبلها، شاهيك عن استغلال بعض الإرهابيين، ولاسيماً "داعش"، لبعض تلك التشكيلات.

الدبلوماسية الاقتصادية لدول مجلس التعاون

لذلك الدبلوماسية التي ترتكز بالأساس على النفوذ المالي ودبلوماسية النفط مقابل دبلوماسية الدولار. أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة أصبحت محل صناديق التنميمة والاستثمارات المباشرة وشركات النفط المحلية مثل أرامكو وغيرها تعتبر هي أيضاً سلاح ذو حدين ناجح ونجاح بحيث تستعمل كادوات لأغراض سياسية عن طريق مصالح اقتصادية ضد أي أزمات إقليمية أو دولية. ففي هذا الإطار تعتبر عمليات تفعيل دور البعثات الدبلوماسية الاقتصادية في الخارج من أولويات السياسة الخارجية لدول مجلس التعاون الخليجي وذلك من أجل كسب أكبر نصيب من عكدة الاستثمارات والتجارة مع دول الإقتصاد الأوروي ورفع نسق التداول بالأسواق المالية العالمية وبسط النفوذ المالي والسوي الخليجي بالدول الغربية والعربية.

بالإضافة إلى ذلك تمثل العلاقات السعودية مع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة عبر إبرام العديد من الصفقات والإفصاحيات المشتركة في شتى المجالات عنصرًا داعمًا ومؤسسًا قويا لدبلوماسية صامدة بعيدة الأمد وفقاً لرؤية ولي العهد الملك محمد بن عبد العزيز آل سعود لسنة 2030، وأيضا مع الدول العربية الحليفة والصديقة خاصة من خلال مخرجات القمم الخالصة الخليجية، العربية والإسلامية التي انعقدت مؤخرا بمدينة مكة المكرمة السعودية وذلك من أجل تقوية الحلف الإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط. فالعلاقات الخليجية مع بعض البلدان العربية والإسلامية تبقى راسخة ومستقرة خاصة من جانب تلك الاستثمارات الضخمة في شتى المجالات الحيوية منها في البنى التحتية والمرافق الترفيهية والتي تديرها بعض الشركات

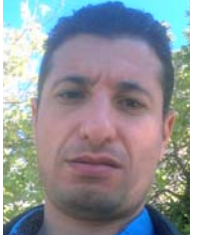
الدور الفعال للولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة من أجل تحقيق الإستقرار الأمني والإقتصادي وإعتبار الخطر الإقتصادي الخليجي وذلك لخدمة أغراض وأجندات سياسية وإستراتيجية بعيدة الأمد. أما بخصوص الفوضى العارمة والدمار والإرهاب التي شهدتها أغلب الدول العربية المجاورة لدول الخليج العربي وأوبلدان بما يسمى الربيع العربي أصبحت تعتبر من أبرز العوامل السلبية لعدم إستقرار أمن المنطقة برمتها مما يهدد بالنتيجة مصالحها الإقتصادية والتجارية والمالية وتوجب الدبلوماسية الاقتصادية الخليجية الحالية نحوسياسة قطع جميع علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الأطراف والدول الداعمة والممولة للإرهاب. وعموما تمثل الدبلوماسية الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي أهم مصدر نفوذ إقليمي رئيسي من أجل تنظيم العلاقات التجارية والإقتصادية مع الحلفاء البارزين والشركاء الدائمين وذلك من خلال تقديم المخططات الإستراتيجية والدعم اللوجستي والتنسيق بين رجال الأعمال والمستثمرين الخليجيين من جهة، والأطراف الأجنبية أوالعربية المشاركة في الحوار التفاوضي من جهة أخرى، وكل ذلك عبر التمثيل الدبلوماسي في تلك البلدان التي تربطها معهم مصالح وشراكة تجارية وإقتصادية وسياسية. كذلك تساهم تلك النوعية من الدبلوماسية في تسهيل إجراءات العمليات التجارية أوالمالية وكذلك في تسهيل عملية الإستفادة من التقنيات الحديثة والتكنولوجيات الحديثة مع تقديم صورة حضرية متطورة لدول مجلس التعاون الخليجي بالخارج.

سياسة تطبيع

أما بخصوص سياسة تطبيع العلاقات الخليجية -الإسرائيلية كان له الأغراض جيوسياسية ومصالح إقتصادية مشتركة خاصة منها

خبره، لا يملك قراره، بحيث أصبح عالمنا المعولم هذا تهيمن عليه القوي العظمي صاحبة النفوذ المالي والإقتصادي على غرار الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد الأوروي وتحالف اليريكس الذي يضم البرازيل، روسيا الإتحادية، الهند، الصين الشعبية وجنوب إفريقيا. إذا أصبحت اليوم مهنة التمثيل الدبلوماسي حساسة جدا لأنها يمكن أن تخلق مشاكل اقتصادية وسياسية وحتى تازم في العلاقات الدولية وقطعها ووضع على قائمات سوداء وغيرها، إذ لم تحسن بعض الأطراف في التعامل مع بعض الملفات مع الجهات المفاوضة والتي تجمعهم مصالح سياسية واقتصادية مشتركة. إذ في هذا السياق تعتبر الدبلوماسية الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي نموذجا ناجحا في التفاوض بين كل الدول التي تجمعها بهم مصالح تجارية، إستثمارية أوعلاقات مالية مشتركة. فاليوم أصبح سلاح النفوذ المالي والتعامل مع أسعار النفط والغاز وأيضا الكمويات من قبل صناديق التنمية والإستثمار والهبات الدعم المالي في وقت الأزمات في مجملها من أبرز الأسلحة الاقتصادية التي تعتمد كاوراق تفاوضية لدول مجلس

إن الدبلوماسية في مدلولها اللفظي تعني كلمة دبلوم وهي الوثيقة الرسمية التي يسندها صاحب السلطة إلى شخص معين تنوقر فيه ميزات وخصائص من الرقي والسامية مقارنة مع أشخاص آخرين وذلك في إطار إنجاز مشروع معين يتم تحقيقه أوالمصطلح الحديث للدبلوماسية الاقتصادية يعني إستخدام الموارد الأولية والثروات الوطنية والطاقات البشرية والمكاسب الاقتصادية وتوظيفها مباشرة في مشروع المقايضة أوالمساومة التفاوضية بين الدول ورجال الأعمال المستثمرين. كما تمثل الدبلوماسية الحديثة نموذج التسليم والحضارية من أجل إكتساب ثقة الطرف الأخر بالأقوال وبالأفعال. وقد اثبتت التجارب التفاوضية السابقة في المجالات الاقتصادية وخاصة منها التجارية علي أهمية ذلك النوع من الدبلوماسية إستراتيجيا من أجل تعزيز مكاسب الأمة من إنجازات عبر سعيها لجلب الإستثمارات الأجنبية المباشرة وتحفيز المبادلات التجارية الدولية والرفع من نسق التعاون الدولي والمساعدات بين الدول والحلفاء. إذ في هذا الصدد يمكن القول أن من لا يملك



فؤاد الصباغ

تونس

الموجة الكلية.. الصحافة

السالبة الجزئية.. المستقلة



ياسر الوزني

بغداد

أعتقد (من وجهة نظر شخصية) أن عنوان المقال يلامس موضوع المحاضرة الالاعمة التي تحدث فيها الدكتور أحمد عبد العييد رئيس تحرير الزمان طبعة العراق. وكانت بعنوان الصحافة المستقلة، نقل لنا الأحداث من واقع التجربة ولبيلة الوقائع والبرهان، الأفكار كانت متسلسلة بأسهاب دون إطناب، هي (الزوجة الثانية) عبارة قالها المتحدث لازالت عالقة في الأذهان معبراً هو فيها عن عشقه وحيه للصحافة والأعلام، الحضور ميمز من رجال الفكر والثقافة والصحافة والأعلام غص بهم المكان (قاعة نادي الصيد) يقول علم المنطق أن معنى الموجبة الكلية هو ما كان الحكم فيها بثبوت المحمول لكل أفراد الموضوع، مثلاً (كل إنسان ناطق) أما السالبة الجزئية فهي ما كان الحكم فيها بسلب المحمول عن بعض أفراد الموضوع مثل (بعض الطائر ليس بأبيض).

ربما يكون من المناسب أن نذكر بعض المحاور الرئيسية التي تعرض لها المحاضر ومنها: مفهوم الصحافة المستقلة، الصحافة الإلكترونية والورقية، استنساخ المقالات وإعادة نشرها في أكثر من وسيلة إعلام، حرفة الصحافة والأعلام، إحتجاب عدد كبير من الصحف عن الصدور لأسباب ذاتية وموضوعية، المقالات الاستقصائية، أخلاق مهنة الصحافة، الابتعاد عن الأخبار الكاذبة والملققة، الاتهامات المتعددة لبعض الصحف المستقلة، معوقات العمل المالية والفنية والإدارية ومنها طبعة العراق -الزمان -إنموذجاً.

قناعات شتى

عدد غفير من الحاضرين تحدث عن قناعات شتى كانت موضع تقدير سواء في الإجابة والتفسير، شخصياً وبكل تواضع أطلب المشاركة مع الأخوة والزلاء الآخرين من خلال بعض الملاحظات.

يقول أصحاب الاختصاص أن الصحافة المستقلة هي التي لا تنتمي إلى أي اتجاه سياسي معين أو تتبنى إيديولوجية بعينها ولا تعبرعن أحد الأحزاب السياسية وإنما تنسجح المجال على صفحاتها لكافة الآراء والاتجاهات السياسية والمذاهب الفكرية والاجتماعية.

وعن تلك الصحافة يقول ديفيد راندال وهو من أكبر محرري الأخبار في الإيدبندنت البريطانية ((انه وبغض النظر عن اللغة أو الثقافة، فإن ما يجمع الصحفيين الكفاء هو الالتزام المشترك بالبحث عن الحقيقة، في ظروف صعبة ومعقدة في أغلب الأحيان وأن الصحافة الجيدة لا تتعلق بلوغ الأهداف العالية والشاملة فقط بل تعني أيضاً اكتساب سلسلة من المهارات التي تمكن الصحفيين من العمل في مهنة تشهد تغيراً مستمراً في الكلية، والتقنية، والمعلومات)) إقتباس من كتابه الموسم الصحفي العالي)

يعتقد البعض وأنا منهم أن القانون والأعلام أكثر الحقول تغلغلاً في المؤسسات الحكومية والعامه فالأول حماية وحصانة والثاني تسويق وإعلان، هذا من وجهة النظر البسيطة التي تناقش الموضوع من جانب واحد أو جوانب أخرى، لكن لو أخذنا موضوع الأعلام بغيره لأمكن القول أن جزءاً من مهام المتصددين لأدارة مختلف المؤسسات هو كيفية التفريق بين الخير والمعلومة خاصة تلك التي ينحصر عملها بالجانب الاستخباري كونها تدرّب وسائلها البشرية وتستخدم التقنيات الفنية بما يقتضي للتفريق بين الشك والحقيقة خاصة في المواضيع الإستراتيجية التي تتطلب قرارات على مستوى عال من الأهمية ربما تكون له ردود أفعال مؤثرة خاصة في المسائل ذات البعد الإستراتيجي أو الإرهابي وقد يكون تسريب الخبر(المفبرك) من جهة لأخرى واحداً من الأفعال التي نستطيع أن نقول أنها مثال واضح على واقعيتها كلاً من الأمر ينسحب على الأخبار التي تمس سعة أناس كثيرين من مختلف المشارب سياسيين، إعلاميين، برلانيين أو من الشخصيات الرسمية في الدولة وعمامة المجتمع وقد يقصد في هذا الجانب الأساءة أو ربما لغايات نفعية أخرى.

خبر واقعة

إن الخبر واقعة أو حدث قد يكون صحيحاً أو فيه جزء من الصحة أوالصحة له على الإطلاق وربما هو سرد من مخيلة آخرين لغايات منها تظفية والعكس صحيح، أما المعلومة فهي وقائع أو أحداث تم تدقيقها حتى أيقن ترحيله الى صنف المعلومة المؤكدة.

أحد المواضيع التي أخذت حيزاً واضحاً من النقاش في المحاضرة هو مايصطلح عليه بصحافة المواطن ولها عناوين أخرى مثل المشاركة participatory journalism الإعلام الديمقراطي democratic media صحافة الشارع الشيعية open- street journalism الإعلام مفتوح المصادر -open source media التي غير ذلك من التسميات والمصطلحات وهي ترمز لأعضاء من العامة يلعبون دوراً نشيطاً في عملية جمع ونقل وتحليل ونشر الأخبار والمعلومات على الإنترنت ويعد هذا النوع من أكثرها المثيرة للجدل نظراً لحدثته من جهة، وإختلاف الباحثين بشأن معناه مع إختلاف وسائله، حيث يمكن لأي شخص أن يكون صحفياً ينقل رأيه ومشاهداته للعالم أجمع دون الحاجة لأن يحمل شهادة في الإعلام أو أن ينتمي لمؤسسة إعلامية لكن غايته الوصول بصوته للعالم. ويحسب مياقال فإن الظهور الواضح لهذا النوع من الصحافة بدأ مع بدايات مايسمى بالربيع العربي الذي كان لكاهرات الهوائيات المثارة الأثر الكبير في إنباع هذه الظاهرة والتي لايعتقد أنها ستختفي في سنوات قليلة قادمة في كل الأحوال هذا النوع من الصحافة على الرغم من المزامحة وعين الحسد لكنه بشكل عام من مصادر تحفيز الصحافة والأعلام وفي ذات الوقت تسلط الضوء على دهايز وغرف مظلمة يصنع فيها سم الأشرار لقتل الأخبار.نأمل أن نرى حديثاً جديداً على منصة الصحافة المستقلة قريباً.